## المحاضرة الخامسة

## الامارة الغزنوية (٣٥١-٥٨٢هـ/٩٦٥-١١٣٦م)

**اعداد : ا.د.صفوان طه حسن**

تُعد الدولة الغزنوية هي وليدة الدولة السامانية في عهد الأمير منصور بن نوح الساماني، كون الأخير اسند إلى أمراء من البيت الغزنوي ولاية غزنة وخراسان، وبذلك تعاظم شأنهم عند السامانيين نتيجة الانتصارات التي حققوها لهم في استعادة الولايات الخارجة عن سلطانهم ومواجهة النفوذ البويهي، وبل وأصبح لهم دور في اتخاذ القرارات التي تخص الدولة السامانية لزيادة ثقتهم فيهم.

وقد مارست المصاهرات الأسرية بين القادة العسكرين دوراً أساسياً في وصول بني سبكتكين إلى دفة الحكم في الدولة السامانية. ففي سنة (٣٦٦هـ/٩٧٦م) ملك مدينة غزنة غلام السامانيين سبكتين زوج بنت أبي اسحاق البتكين قائد جيش السامانيين في غزنة بعد وفاة الاخير ولكون لم يخلفه أحد من بعده، إذ وقع اختيار ارباب الأمير على سبكتين الذي عرف برجاحة العقل، وحسن التدبير وجودة الرأي، فتولاهم وأحسن اليهم، وكان لايدخر طعام أو مال عنهم. فجهز جيوشه نحو الهند غازيا ومجاهدا ودخل معهم معارك كثيرة فتح من خلالها حصون وقلاعاً، وقتل منهم خلقاً كثير، وجبى أموالها، وأسلم على يده الكثير من أهلها الوثنين وغيرهم من اهل الديانات الاخرى. فرفع شأنه وعظمة سلطانه واستعانة عدد من الأمراء منهم الأمير (طغان) صاحب مدينتي بست وقصدار[*] حين خرج عليه شخص يدعى أبي تور، فأستعادهما الأمير سبكتكين وقضى على الخارجي، وأجلس طغان في حكمهما على أن يؤدي له أموال سنويا، لكن الاخير أغلض وأخلف ووقع بينهما الحرب انتهت بسيطرة سبكتكين على بلاد الامير طغان. ولم يكتفِ سبكتين بذلك بل قصد ملك الهند جيبال في بلاده ودارت بينهما معارك انتهت بهزيمة ملك الهند واجبار الأخير على عقد الصلح مع سبكتيكن على أن يحمل اليه مال جزيل ويسلمه بلاد كثيرة ومن ضمنها خمسين فيلا ورهائن من كبار قومه.

---

[*] **قصدار**: ناحية تقع قرب غزنة، وهي من بلاد الهند ويقال لها ايضاض" قزدار" وتكثر فيها الاعناب والرمان، وقد فتحها القائد المسلم سنان بن سلمة المحبّق الهذلي: ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٣٥٣/٤.

وبعد عودة سبكتكين من بست وقصدار مرض وتوفي سنة (٣٨٧هـ/٩٩٧م)، وكان له ولدين هما اسماعيل الأصغر سنا ومحمود الأكبر سنا، فعهد بجميع أعماله إلى ابنه اسماعيل في غزنة. فأستصغروه جنده لضعف ادارته وقلة خبرته، وفنيت خزائنه، وانظموا إلى أخيه محمود المقيم بنيسابور، فجهز العساكر الأَخير قاصداً غزنة لانتزاعها من أخية وسعى الساعي بينهما فدرات المعركة، التي انتهت بهزيمة اسماعيل بعد سبعة أشهر من ولايته واستيلاء أخيه محمود على غزنة، ولقب آنذاك بلقب السلطان.

اقدمت الخلافة العباسية على اتباع سياسة تنمية القوة الغزنوية في الشرق في ظل ضعف الدولة السامانية الموالية لها، وما الت اليه الأخيرة من صراعات بين أمرائها وحروب مع عمالها في الولايات، فضلاً عن التوسع البويهي في أقاليمها، وتسلطها على الخلافة في بغداد، ولَجَأ السامانيين إلى الصلح أحياناً مع البويهيين بعد أن كانت في حرب دائمة معهم، واستعمالها للعناصر التركية الانفصالية في قيادة جيوشها، إذ بامكان هذه القوة الجديدة أن تحافظ على اقاليم المشرق الاسلامي من تعرض الاعداء لها وتَقّضٍ على تمردات الخوارج هناك وترعى مصالح الخلافة العباسية هناك .

ففي سنة (٣٨٧هـ/٩٩٧م) استولى محمود بن سبكتكين على خراسان من يد أخيه اسماعيل بعد حرب بينهما، ثم قصد بعدها ال سامان في فرغانة وسمرقند وانتزعها من السامانيين وبذلك زال دولتهم وقبض عليهم وأقام الخطبة هناك للخليفة القادر بالله، وأهدى محمود الغزنوي هدايا جليلة لبهاء الدولة ابا نصر بن بويه(٣٨٨-٤٠٣هـ/٩٨٨-١٠١٢م) من جملتها خمس فيّلة، توسطاً به على أن يحصل له عهد تقليده على تلك البلاد من الخليفة العباسي، فبعث بهاء الدولة ابي عمر البسطامي إلى دار الخلافة، فأجابه الخليفة القادر بالله (٣٨١ – ٤٢٢هـ/٩٩١ – ١٠٣١م) على ذلك في سنة (٤٠٤هـ/١٠١٣م) وبعث اليه الخلع ولقبه بيمين الدولة وامين الملة نظام الدين ناصر الحق. كهف الاسلام .

ويبدو ان الخلافة قد اقدمت على اعطاء القاب سلطانية فخمة ودينية لمحمود الغزنوي لم يحصل عليها أحد من أمراء الدويلات السابقة وعمال الخلافة في الولايات، فضلاً عن حصوله على الاستقلال التام، جاء ذلك من اجل تعزيز الثقة المتبادلة بين السلطان محمود الغزنوي والخلافة العباسية ، بعد أن تكالب الاعداء والقوة الخارجية على الخلافة ولم يكن للخليفة العباسي في بغداد سوى الاسم فيها.

إن السياسة العامة عند بني سبكتكين تجاه الخلافة كانت تقوم على تقديم الولاء التام والطاعة للخلافة العباسية منها اقام الخطبة للخلفاء العباسيين في ولاياتهم واستعلام الخلافة في الفتوحات والغنائم التي يتم الحصول عليها، فضلاً عن الهدايا والأموال التي تقدم اليهم وعن كل ما يحدث عندهم. والدليل في ذلك عندما ورد كتاب يمين الدولة إلى الخليفة القادر بالله سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م) يوضح فيه أن صاحب مصر ارسل اليه كتاباً يطلب فيه طاعتة فبصق به وأمر بحرقه واغلض كلامه على رسوله. وكذلك الانتصارات التي حققها يمين الدولة محمود بن سبكتكين الغزنوي على ملوك الهند في(مقصده) وانهزامهم أمامه بعد مقتل الكثير منهم واغتنامهم من الأموال والفيلة والسلاح، وعودته إلى غزنة إذ أرسل يمين الدولة إلى الخليفة القادر بالله منشوراً يوضح فيه انتصاراته ويطلب فيه عهد توليته على خراسان وما بيده من الممالك، ردت الخلافة على ذلك المنشور بشرعية تقليده على تلك البلاد ومنحه الخليفة القادر بالله لقب نظام الدين في سنة (٤٠٤هـ/١٠١٣م). وما قام به يمين الدولة محمود بن سبكتين في سنة (٤١٦هـ/١٠٢٥م) حين وصلت اليه هدايا من مصر قد أرسلها الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمي(٤١٢-٤٢٨هـ/١٠٢١-١٠٣٦م) مع زين القضاة أبي العباس احمد بن محمد الرشيدي، إذ بلغ فيها يمين الدولة الخليفة القادر بالله بتلك الهدايا والاموال والفضة وهو يتبرء عن كل ما يخالف الخلافة العباسية، فقام الخليفة بجمع الفقهاء والعلماء، وحرق تلك الثياب في حفرة أمام باب النوبي، وتوزيع الأموال والفضة فيها على فقراء بني هاشم. يتبين لي أن يمين الدولة السلطان محمود الغزنوي كان يقدم الولاء التام للخلافة العباسية، كونه رفض هدايا صاحب مصر التي بالإمكان أخذها دون علم الخلافة العباسية، وأيضا كان ردّ الخلافة قاسياً حين أقدم الخليفة القادر بالله على حرق تلك الهدايا من الثياب الفاخرة، ورأى في اجراء الحرق تخويف وتهيب للسلطان محمود الغزنوي لمن يخالف الخلافة العباسية.

وعندما ملك يمين الدولة محمود بن سبكتكين الري سنة (٤٢٠هـ/١٠٢٩م) كتب إلى القادر بالله يعلمه ان لمجد الدولة بن بويه خمسين امرأة من النساء الحرائر ولدن له ثلاثين ونيفاً[*] من الولدان، ولما سأله عن ذلك قال له : "**هذه عادة سلفي**". يتبين من ذلك ان تلك الحالة التي شاهدها السلطان محمود الغزنوي عند مجد الدولة بن بويه لم تكن مألوفة عند

---

[*]) **نيفاً**: مثقل، هو الزيادة، مثلاً نقول عشرة دراهم ونيف، واناف البناء، واناف الجبل، وهو الطويل في الارتفاع، ونياف على وزن فيعال: ينظر، الفراهيدي، كتاب العين: ٣٧٦/٨ .

المسلمين، ومن جانب ولائه للخلافة وانابته لها في حكم اقاليم المشرق الاسلامي، كان يتوجب عليه ابلاغ الخلافة العباسية في ذلك.

وقد حرص يمين الدولة في حماية مذهب الخلافة في المشرق الاسلامي ورعايته عن طريق القضاء على الخارجين عليها ومحاربته للمذاهب التي تخالف فكرها الديني. ففي سنة (٤٢٠هـ/١٠٢٩م) أقدم على صلب الباطنية وقتل خلق كثير منهم، وقتل القرامطة والاسماعيلية أيضاً، وأخرج المعتزلة من خراسان، وأحرق كتب الفلسفة، ومذاهب الاعتزال والفلك. يتضح أن تلك المذاهب والحركات الدينية تُعد هدامه لمذهب الخلافة العباسية هناك ويحذر منها وتجابه بالحرب والتشريد والقتل من قبل الخلافة العباسية وعمالها على تلك الاقاليم.

وأوصى محمود بن سبكتكين بعد وفاته بجميع أعماله إلى ابنه الأصغر محمد المقيم في بلخ سنة (٤٢١هـ/١٠٣٠م) متجاوزاً بذلك أخيه مسعود الأكبر المقيم في اصبهان، والذي سعت به الحاشية عند أبيه، وخطب لمحمد من الهند إلى نيسابور، ووصل إلى غزنة بعد وفاة أبيه بأربعين يوم، فقام بالاحسان إلى الحاشية والجند بتوزيع الاعطيات لهم وعاملهم بالحسنى. وبعد أن وصلت اخبار موت يمين الدولة محمود الغزنوي إلى مسعود بن محمود وتولي أعمال أبيه أخيه محمد، سار مسعود خلالها من اصبهان إلى غزنة بعد أن اناب عامله عليها قاصدا أخيه محمد لمشاركته شؤون الحكم وعلى أن يقدم اسمه في الخطبة، فأنكر محمد عليه ذلك، فقبض على الأخير من قبل أكابر عسكره وسلّموه إلى الامير مسعود بن محمود(٤٢١– ٤٣٣هـ/١٠٣٠ –١٠٤١م) الذي دخل غزنة وتسلم أعمال المملكة فيها وقتل أكابر القادة ممن قبضوا على محمد.

يبدو مما سبق أن تأمين الحاشية من الموالين وأصحاب الطاعة كان أمراً مهماً عند الأمير مسعود بن محمود لذا قام بالتخلص من أكابر قادة محمد والذين كان لهم دور في القبض على أخيه وتسليمه إلى مسعود، وان لم يتخلص منهم سيكون مصيره أشبه بمصير أخيه على يدهم ويصبح ضحية لهم، وربما كان يدرك اطماعهم في الحصول السلطة في المملكة الغزنوية.

فشهد بداية عهده ظهور ال سلجوق في اقليم المشرق الاسلامي وسيطرتهم على خراسان ونيسابور، فذلك أقلق الخلافة العباسية في بغداد، ودفع الخليفة القادر بالله إلى ارسال الخلع وعهد تولية خراسان إلى مسعود بن محمود ولقبه بالناصر لدين الله، حافظ لعباد الله . وقدم له طوقاً وتاج وسوارين، فوضع على رأسه لوائين، وما زاده هذا الاقوة وطاعةَ له. يتضح

من ذلك أن تلك الالقاب تحمل بعداً سياساً يتضمن الولاء التام للخلافة العباسية وبعدا دينياً يلزم فيه الخليفة الحجة على الامير بإقامة العدل ونشر الاسلام وإعلان الجهاد وبعداً عسكرياً يتضمن قيام الفتوح وحماية الثغور ونصرة الخلافة.

إن اضطراب أوضاع الخلافة العباسية في بغداد بسبب ما تعرضت له من ثورة البساسيري على الخليفة وانفراده في أدارة السلطة، لتصبح الخلافة العباسية آنذاك عاجزة عن إرسال خلع تقليد ولاية غزنة وأعمالها إلى أمراء الأسرة الغزنوية الذين تولوا بعد مسعود على وفق مبدأ الوراثة الذي أقرته لهم سابقاً.

وعندما كان مودود بن مسعود يتولى قيادة الجيوش في خراسان نيابة عن أبيه مسعود بن محمود، وصلت اليه أنباء القبض على أبيه على يد حاشية عمه محمد بن محمود ومقتله على يد ابن عمه أحمد بن محمد بن محمود، فحرك مودود جيشه من خراسان إلى غزنة انتقاماً لمقتل أبيه، فوصل إلى خراسان سنة (٤٣٢هـ/١٠٤٠م) وحاصرها وقبض على عمه محمد وابنه أحمد وحاشية أبيه فقتلهم جميعهم مسَتثنياً منهم عبد الرحيم بن محمد لطيب معاملته مع أبيه، وبذلك تربع الأمير مودود بن مسعود(٤٣٢ – ٤٤١هـ/١٠٤٠ – ١٠٤٩م) على كرسي الامارة الغزنوية.

ففي سنة (٤٣٤هـ/١٠٤٢م) كتب الامير مودود بن مسعود كتاباً إلى الخليفة القائم بأمر الله يطلب منه الخلع وعهد التولية على ما كان بيد أبيه من أعمال، وعلى أن يساوى مع أبيه في ذلك.

وهنا ينبغي أن نتسأل لماذا الخلافة قد اتبعت الصمت مع تلك الكتب في عدم الرد عليها ؟، والجواب هنا يتمثل بأمرين، الأول: إن الخلافة كانت خاضعة تحت التسلط الاجنبي البويهي المستبد في بغداد، والذي بدأت تظهر عليه بوادر الوهن والضعف والانحلال في تلك السنوات؛ فضلاً عما كانت الخلافة من فوضى واضطرابات داخلية، وسيطرة البساسيري مملوك الخليفة العباسي على البلاد، وأخذت آنذاك الخطبة تقام له وقد خشيه العرب والفرس والترك، مما دفع الخليفة أن يخلص البلاد ونفسه من ما كانت تعانيه، فأقدم على استدعاء السلاجقة بالمسير إلى العراق،أي أن الخليفة العباسي كان بمثابة منصوب لفظ، اي يذكر على ألسن الناس ومسلوب معنى، اي مجرد الصلاحيات. أما الأمر الثاني: إن الخلافة لم ترد على هذه الكتب؛ بسبب انشغالها في شؤون بني سلجوق الذي تزامن ظهورهم مع بداية تولي الأمير مسعود بن

محمود الغزنوي وتعاظم سيطرتهم على أقاليم مهمة مثل خراسان ونيسابور وهي جزء من أملاك الغزنوين، وديدن الخلافة العباسية هو اعطاء التقليد لصاحب الغلبة والقوة.

وفي سنة (٤٤١هـ/١٠٤٩م) تولى علي بن مسعود ولاية غزنة بعد وفاة أخيه مودود على أساس مبدأ الوراثة في الاسرة الغزنوية، وتولى وهو صغير السن، فعزله عمه عبد الرشيد بن محمود بعد شهرين من توليه، واستقرت الولاية بعدها للأمير عبد الرشيد. فحكم الأخير لفترة ثلاثة أعوام ثم قتل على يد (طغري) وهو أحد مماليك مودود بن مسعود وقائد جيش خراسان، إذ ادرَّ عبد الرشيد عليه المال والسلاح لفتح سجستان لكنه قصد غزنه وقتل عبد الرشيد فيها.

لقد كان لعمال الغزنوين في الهند دوراً كبير في تقليد الامراء الغزنوين على غزنة بعد غياب سياسة الخلافة العباسية في ارسال الخلع لهم والتقليد بعد وفاة ابائهم واعمامهم، وفي ظل التوسع السلجوقي في المشرق الاسلامي وتمرد البساسيري[*] على الخليفة العباسي في بغداد. ففي سنة (٤٤٤هـ/١٠٥٢م) أقدم (خرخير) عامل الغزنوين في الهند على تقليد فرخ زاد بن مسعود أميراً على غزنة وما يتبعها من أعمال بعد مقتل عمه عبد الرشيد على يد أحد مماليكه في غزنة، فأجلسه خرخير على كرسي غزنة، وقام بقتل من ساهم في مقتل الامير الغزنوي من المماليك والحاشية.

بعد وفاة الامير الغزنوي فرخ زاد بن مسعود سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) تولى المملكة الغزنوية أخيه ابراهيم بن مسعود بن محمود(٤٥١-٤٩٢هـ/١٠٥٩-١٠٩٩م) من بعده، فأحسن السيرة في ولايتها.

كان للفراغ السياسي الذي وقع بين الخلافة العباسية والدولة الغزنوية أثر كبير على تعيين امراء تلك الدولة من قبل الخلافة، ومما أدى ذلك إلى الاجتهاد في تعيين ولاة وأمراء غزنة بعد سيطرة السلاجقة على زمام الامور في بغداد فأصبح أمراء البيت الغزنوي يستنجدون في أمراء السلاجقة الاقرب منهم في خراسان من أجل أن يولى بعضهم على بعض في ولاية المملكة الغزنوية أو في القضاء على خصومهم من إلاخوة، ففي سنة (٤٨١هـ/١٠٨٨م)، استنجد الأمير

---

[*] **البساسيري**: وهو مملوك تركي من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه، واسمه ارسلان، وكنيته ابى الحارث، تقلبت به الامور حتى وصل الى مواقع مهمة في حياته، وينسب الى مدينة نسا بفارس، وكان العرب يلفظونها بفسا، أي ابدلو الباء بفاء، وقيل ايضاً فساسيري: ينظر، ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ١٦١/٨.

بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود، بالسلطان سنجر في خراسان على أخيه ارسلان شاه حين تولى الدولة الغزنوية بعد وفاة ابيه، فأنفذ سنجر جيشا إلى غزنة، ودخلها سنة (٥١٠هـ/١١١٦م) ونهب أموالها، وفرَّ منها ارسلان شاه بن مسعود هاربا إلى جهة الهند، ثم عاد لقتال اخيه فقتل، واجلس بهرام شاه على كرسي الدولة الغزنوية، وعلى ان يخطب لسنجر فيها فوافق على ذلك.

وقد تولى الأمير خسرو شاه اعمال غزنة بعد وفاة أبيه بهرام شاه بن مسعود سنة (٥٥٠هـ/١١٥٥م) وهو آخر أمراء البيت الغزنوي في غزنة استولى الغز منه على غزنة خمسة عشر عام فهرب إلى لهاور(*)، فقصدهم الغور(*) يقودهم شهاب الدين الغوري بأمر علاء الدين الغوري، واستولوا على غزنة وما جاورها من البلاد، ثم ساروا إلى لهاور وحاصروا خسرو شاه بن بهرام شاه فيها، إذ لجأ الأخير إلى تسليم نفسه لهم مقابل الأمان له فوافقه علاء الدين الغوري بذلك فأرسل له شهاب الدين الغوري فرفعة إلى أحد القلاع وكان هذا آخر العهد بينهم وانقرض بذلك ملك الغزنوين سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م) .

ونستطيع القول: إن العلاقة بين الدولة الغزنوية والخلافة العباسية كان يسودها الاحترام والثقة المتبادلة، واعتراف كل طرف بحقوق الطرف الاخر.

هنالك عدد من الأسباب أدت إلى سقوط الدولة الغزنوية في المشرق الاسلامي ومنها:

أولا : الصراع الأسري بين أمراء الدولة الغزنوية من أجل تولي الدولة الغزنوية فيما بينهم واستعانت عدد من الامراء مع أعداء الدولة الغزنوية في القضاء على خصومهم من أبناء جلدتهم سواء كانت استعانتهم بالبويهيين أم السلاجقة أم الغور.

ثانياً : ظهور قوى أخرى في المشرق الاسلامي وبدأت تلك القوى تتوسع على حساب ممتلكات الدولة الغزنوية، مثل القوة السلجوقية التي استولت على عدة أقاليم تابعة للغزنويين بالانتصار

---

(*) **لهاور**: بلدة عظيمة ومشهورة من بلاد الهند ويقال لها ايضا لوهور: ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٢٦/٥.

(*) **الغور**: هي بلاد تقع بين الصخور والجبال، يطلق على ملوكهم تسمية شاه، يستمدون سلطتهم من امير الجوزجان، كانت الغور تدين الديانة الوثنية قبل الفتح الاسلامي، لكنها بعد الفتح اصبحت تحتوي على اعداد هائلة من المسلمين، ويرتبط بها مدن كثير تتاجر بالجواشن والرقيق: ينظر، مجهول، (توفي: بعد ٣٧٢هـ)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق وترجمة الكتاب (عن الفارسية): السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة: ١٤٢٣هـ: ص ١٢٣ .

عليهم واخراجهم منها، وكذلك القوة الغورية التي ظهرت في أواخر عهد الدولة الغزنوية واسقطتها واستولت على املاكها.

ثالثاً : لم يكن هناك قيادة حكيمة وأمراء أقوياء بعد وفاة السلطان محمود الغزنوي وإنما كان وضعهم عبارة عن صراعات داخلية، واستعانتهم بأعدائهم ومماليكهم على بعضهم البعض وزج البعض في السجن، مما تسبب بسقوط الدولة الغزنوية.